محاضرات مقياس مصادر تاريخ الجزائر

المحاضرة الأولى:

الوثـــــــائق الأرشيفية

إنّ الأرشيف هو ذاكرة الأمة وعلامة وجودها كما أنه يمثل دورا محوريا في كشف الوقائع والحقائق التاريخية وإبراز المحطات الهامة في حياة الدول والشعوب، ويساهم في تيسير عملية الوقوف على حيثيات مسارها ومراحل تطوّرها عبر الزمن. تعد الوثيقة الأرشيفية مصدرا من مصادر كتابة التاريخ من كونها تحتوي على معلومات هامة وتعتبر شاهدا على الأحداث بتفاصيلها.

أولاً–تعريف الأرشيف: كل الأوراق والوثائق المكتوبة الناتجة عن نشاط جماعي أو فردي، بشرط أن تكون قد نظمت ليسهل الرجوع اليها عند الحاجة اليها في البحث وبشرط أن يكون قد أحسن حفظها في داخل منظمة واحدة.

كما يمكن القول أن الأرشيف هو مجموع الوثائق أو السجلات التي يتم جمعها من قبل الأفراد أو المؤسسات (مثل الدوائر الحكومية، الشركات، المنظمات، الأفراد) ويتم حفظها لأغراض قانونية، إدارية، أو تاريخية. تتميز هذه الوثائق بأنها تحتوي على معلومات دقيقة، وتُعتبر مصادر أولية مهمة في البحث التاريخي، لأنها تمثل الحقائق التي كانت تُستخدم في وقت وقوع الأحداث.

أما الأرشيف التاريخي هو الأرشيف الذي يحتوي على الوثائق المتعلقة بتاريخ المؤسسات والبلد كافة، وكذلك النواحي السياسية، الاجتماعية الثقافية الفنية والوثائق التاريخية ذات الأهمية الكبيرة، وذلك لكونها هي المرآة أو الفيلم الذي نشاهد فيه أو عليه حال البلاد أو الدولة.

ثانياً–تعريف الوثيقة الأرشيفية:

تعني الوثائق الرسمية وغير الرسمية المحفوظة في مراكز حفظ الوثائق، والتي كانت في يوم ما تحمل معلومات تاريخية وقانونية تمثل أساس المعاملات بين الأفراد ولمؤسسات والدول.

ويمكن تعريفها بأنها ذلك السند الحامل للمعلومات مهما كان نوعه (ورقي، إلكتروني) الصادر عن الأفراد أو الجماعات سواء كانوا هيئات أو منظمات في إطار تأدية مهام وأعمال، مر بفترات زمنية معينة اكتسب من خلالها الأهمية الإدارية، القانونية، التاريخية.

إذن الوثيقة هي كل ما يخلفه الإنسان من أوراق وتسجيلات ومخطوطات وكتابات من المواد الكتابية القديمة بمختلف أشكالها وانواعها، بدءا من الألواح الطينية وأوراق البردي والرق ثم الورق ووسائط المعرفة الحديثة من أقلام وأسطوانات وأشرطة. فالوثائق تنوعت وأصبحت تأخذ أشكالا متحددة ومسميات مختلفة.

ثالثاً–أنواع الأرشيفات:

1- **الأرشيف الحكومي:** يشمل الوثائق الرسمية التي تنتجها المؤسسات الحكومية على مختلف مستوياتها (المركزية، المحلية). أمثلة: الوثائق القانونية، تقارير الميزانية، محاضر الاجتماعات الحكومية.

2- **الأرشيف الخاص:** يحتوي على الوثائق الخاصة التي يحتفظ بها الأفراد أو العائلات أو الشركات. أمثلة: مراسلات شخصية، مذكرات، سجلات عائلية، وثائق ملكية عقارات.

3- **الأرشيف المؤسسي أو الأكاديمي:** يحتوي على السجلات الخاصة بالمؤسسات التعليمية أو البحثية. أمثلة: أوراق بحثية، تقارير مشاريع بحثية، محاضر اجتماعات هيئة التدريس، التقارير الإدارية، المراسلات الرسمية، البيانات.

4- **الأرشيف الإعلامي:** يتضمن المواد الإعلامية التي يتم إنتاجها بواسطة وسائل الإعلام. ومن الأمثلة: تسجيلات إذاعية، أرشيفات صحفية، مقاطع فيديو، صور فوتوغرافية تاريخية.

5- **الأرشيف الإلكتروني أو الرقمي:** يتعلق بالوثائق والبيانات التي يتم حفظها على وسائل التخزين الرقمية مثل الأقراص الصلبة أو السحابة. أمثلة: مستندات رقمية، قواعد بيانات، أرشيفات الإنترنت.

رابعاً–أهمية الأرشيف:

- **حفظ الذاكرة التاريخية:** الأرشيفات تسهم في الحفاظ على الذاكرة الجماعية للأمم والشعوب، فهي بمثابة "مخازن الذاكرة" التي تخزن تاريخًا طويلًا من الأحداث والقرارات.

- **دعم البحث العلمي**: تعتبر الأرشيف من أهم مصادر البحث التاريخي، حيث يتيح للباحثين الوصول إلى المعلومات الأولية التي تساعدهم في إعادة بناء الأحداث بشكل دقيق.
- **دعم الشفافية والمساءلة**: من خلال الوثائق الرسمية المتاحة، يمكن للأرشيف أن يساعد في تحقيق الشفافية والمساءلة في العمل الحكومي والإداري.
- **استخدامات قانونية وإدارية**: يتم الرجوع إلى الأرشيف لأغراض قانونية، مثل إثبات ملكية الأرض، أو تسوية القضايا القانونية.
- **حفظ الحقوق**: الأرشيف يسهم في حفظ حقوق الأفراد أو الجماعات، مثل حقوق الملكية أو حقوق التعويض.

خامساً–أهمية الأرشيف وعلاقته بالتاريخ:

للأرشيف أهمية كبيرة في تاريخ الأفراد والأمم فهو يشكل قيمة إثباتية يمكن من خلالها استشراف جميع الأمور الإدارية والعلمية على جميع الأصعدة الاقتصادية والثقافية، فهذه الوثائق الأرشيفية تكون ذات قيمة علمية إدارية في بادئ الأمر لكن مع مرور الزمن تصبح ذات قيمة تاريخية يمكن الاعتماد عليها في العديد من الدراسات والبحوث التي تستقي مادتها الأولية من الأرشيف، فالأرشيف هو شاهد ناطق على كل ما تقوم به المصالح الإدارية على اختلاف أنشطتها.

إن العلوم بطبيعتها تتداخل فيما بينها، وهذا ما ينطبق على الأرشيف والتاريخ حيث لا يوجد تاريخ دون أرشيف فالوثائق الأرشيفية هي المادة الخام للأبحاث العلمية والتاريخية، وذلك لما تحتويه مراكز الأرشيف من وثائق مرتبطة بكل جوانب الحياة. وتتجسد هذه العلاقة في ما مدى استخدام الوثائق الأرشيفية في كتابة وتسجيل وتوثيق الأحداث التاريخية.

كما أن البحث التاريخي يعتبر من العلوم التي تقوم على أساس جمع وتحليل المعلومات المستقاة من الوثائق الأرشيفية، من هنا نجد أن كتاب التاريخ أبدوا اهتماما منقطع النضير بالأرشيف لأنه يقدم المعلومات التي لا يمكن الاختلاف عليها.

إن العلاقة بين علمي التاريخ والوثائق علاقة عضوية تربط المؤرخ وعالم الوثائق برباط الهدف الذي يسعى إليه كل منهما وهو الوصول إلى الحقيقة، ولقد أصبح المنهج والوثائقي أحد ال روافد الأساسية في

مجرى الحقائق التاريخية فبدون الوثائق وأشكالها المختلسة والمخطوطات لا يمكن كتابة التاريخ، وأي تاريخ يكتب في غياب الوثائق والمخطوطات تاريخ ينقصه الكثر من الحقائق فالوثائق تمهد السبيل أمام المؤرخ لكتابة بحوث مبتكرة ومما يزيد من قيمة الوثائق أن تكون مترابطة وفيها استمرارية بسبب نموها الطبيعي المتسلسل زمنيا، مما يسهل على المؤرخ مهمة البحث العلمي و يمكنه من الوصول إلى أحكام صحيحة لاعتماده على مجموعات كبر ة من الوثائق المتكاملة و ليس على نوعيات قليلة متباعدة في التسلسل الزمني.

سادساً– أهمية الوثائق الأرشيفية في كتابة التاريخ:

تُعد الوثائق الأرشيفية التاريخية المادة الخام التي لا غنى عنها للمؤرخين والباحثين، وتتجلى أهميتها في عدة جوانب:

- **الشاهد على الأحداث**: تحتوي هذه الوثائق على معلومات هامة وتفاصيل دقيقة، وتُعد شاهدًا على الأحداث التي وقعت، مما يدعم البحوث التاريخية بالبراهين والأدلة الثبوتية.
- **حفظ الذاكرة والتراث**: تلعب الوثائق الأرشيفية دورًا حيويًا في توثيق التاريخ والحفاظ على التراث الثقافي والمعرفي للأمم، فهي تختزل أخبار وتفاصيل الحياة السالفة وتثمن ماضي الشعوب وذلك من خلال الاطلاع على الوثائق ذات قيمة تاريخية وزمنية.
- **المصداقية**: كونها مصدراً أولياً وأساساً للحقيقة التاريخية؛ فهي نتاج مباشر للنشاط الذي سجلته، مما يمنحها مصداقية عالية تفوق الروايات الشفوية أو المصادر الثانوية، وبذلك فهي يساعد في رفع مستوى الدراسات التاريخية، وبغيابها يصعب على المؤرخ كتابة التاريخ الصحيح لأنه لا يستطيع التعرف على الماضي مباشرة إلا من خلال الآثار التي خلفت وراءه.
- **التوثيق والإثبات**: أهميتها في توثيق الحدود، الحقوق، العلاقات الدولية، وتاريخ المقاومة الوطنية.
- **الموضوعية**: دورها في مراجعة وتصحيح السرديات التاريخية السائدة وتفنيد الأساطير، مما يجعلها أكثر موضوعية في نقل الحقائق من المصادر التي كُتبت بقصد التأريخ أو الدعاية.
- **توثيق التاريخ المهمل**: الوثائق الأرشيفية تتيح للباحثين كتابة تاريخ الفئات المسكوت عنها (تاريخ المرأة، الأقليات، التاريخ الاقتصادي المحلي) والتي قد لا تظهر في المصادر الرسمية التقليدية.

- **الاستفادة من الوثائق الأصلية:** يمكن للباحث أن يدرس الرسائل، القرارات، التقارير، السجلات التي تم إنشاؤها في وقت وقوع الحدث.
- **توفر معلومات دقيقة وموثوقة:** تتضمن أرقاماً، تواريخ، مراسلات، بيانات رسمية تساهم معلوماتها في صنع كتابة تاريخية دقيقة.
- **إعادة بناء الأحداث:** تمكّن المؤرخ من إعادة صياغة ما حدث فعلاً، وليس كما يرويه الناس أو كما تتناقل الروايات الشفوية.
- **تصحيح الأخطاء التاريخية:** تساعد في كشف التزييف، وإعادة تقييم الأحداث والشخصيات، وتصحيح الروايات الموضوعة أو الأسطورية.
- **–فهم السياق السياسي والاجتماعي:** توفر الوثائق تفاصيل عن الحياة اليومية، الإدارة، الاقتصاد، العلاقات الدولية، مما يعطي صورة مكتملة عن الماضي.
- **دعم الدراسات الأكاديمية:** لا يمكن لأي دراسة تاريخية رصينة (كالرسائل الجامعية أو الكتب...) أن تُكتب دون اعتماد الوثائق الأرشيفية للتحقق من الوقائع.
- تعد مراكز الأرشيف بمثابة (مختبرات للبحث التاريخي)، وتلعب الوثائق فيها دوراً محورياً في بناء الذاكرة الوطنية والتاريخ الموضوعي فهي المصدر الأولي والحقيقي للوقائع فالمؤرخ يعتمد على الوثائق الأرشيفية لاستخلاص الحقائق التاريخية والوقائع بشكل مباشر، مما يجنبه الوقوع في تكرار الروايات المنقولة أو المشوهة في المصادر الثانوية.
- **الموضوعية والنقد العلمي:** دراسة محتوى الوثائق في سياق الزمان والمكان لفهم المواقف السياسية
- أو الاجتماعية في فترة معينة.
- **التقاطع بين الأرشيف والمصادر الأخرى:** مقارنة الأرشيف مع المصادر الأدبية أو المصادر الشفوية للحصول على صورة أكثر تكاملًا للأحداث.

سابعاً–أهم الأرشيفات في الجزائر منذ العهد العثماني وحتى الاستقلال:

يرجع تاريخ أقدم وثائق الأرشيف الوطني إلى العهد العثماني ابتداءا من القرن السادس عشرا إلى بداية القرن التاسع عشرا، و هي اليوم محفوظة في أغلبيتها في مركز الأرشيف الوطني بالجزائر، و تمثل جزءا من تراثنا الأرشيفي المنقوص من أرصدة العهد الإستعماري الفرنسي (1830 - 1962) إذ أن الفرنسيين

أقدموا قبل الإستقلال على تحويل مكثف لأرشيف هذه المرحلة التاريخية لفرنسا. ولم يتم إسترداد إلا الجزء القليل في حين بقي الجزء الأكبر محفوظ في "إكس آن بروفانس" بفرنسا.

يسهر مركز الأرشيف الوطني على الحفظ الجيد للوثائق الإدارية التي تنتجها أجهزة الدولة وله علاقات منتظمة مع مصالح الأرشيف التابعة للإدارات المركزية والجماعات المحلية وذلك بغرض توفير الشروط الضرورية للوظيفة الأرشيفية.

1-أرشيفات الدولة العثمانية في الجزائر:

في فترة حكم الدولة العثمانية، كانت الجزائر جزءًا من الإمبراطورية العثمانية (1519-1830) تحت سلطة البايات (الحكام المحليين). عرفت الجزائر خلال هذا العهد نوعًا من اللامركزية، حيث كان الباي يمثل السلطة التنفيذية في الجزائر، بينما كانت الإمبراطورية العثمانية تحتفظ بالسلطة المركزية في إسطنبول.

على الرغم من هذه اللامركزية، تم تنظيم أرشيفات إدارية وعسكرية مهمة في الجزائر خلال هذه الفترة. ومن أهم الوثائق والأرشيفات:

- ✓ **الأرشيف العسكري العثماني**: يتضمن تقارير الحروب والمعارك، وسجلات الحملات العسكرية ضد القبائل أو القوى الأجنبية (مثل الحملات ضد الإسبان أو الفرنسيين في البحر المتوسط).
- ✓ **الأرشيف الإداري**: يشمل الرسائل الرسمية بين السلطات العثمانية في إسطنبول والجزائر، وكذلك القرارات الملكية (السلاطين العثمانيين) المتعلقة بالشؤون الإدارية والاقتصادية.
- ✓ **الوثائق القضائية**: تتعلق بالقرارات القضائية والمحاكم الشرعية، وتوثق كيفية إدارة الشؤون القانونية والعدلية في الجزائر.

مكان حفظه: بعض الوثائق المتعلقة بهذه الفترة موجودة في أرشيفات تركيا (مثل الأرشيف العثماني في إسطنبول) ولكن هناك أيضًا بعض الوثائق التي تم الاحتفاظ بها في الجزائر نفسها وتوجد في أرشيفات الدولة الجزائرية الحديثة.

2-أرشيفات قصر الحكومة الجزائرية (الجزائر العاصمة).

محاضرات مقياس مصادر تاريخ الجزائر

كان قصر الحكومة في الجزائر العاصمة هو مقر الحكومة العثمانية في الجزائر، وكان يتضمن مكتبة وأرشيفًا حكوميًا يضم العديد من الوثائق التي تتعلق بالشؤون اليومية للحكم العثماني. مع مرور الزمن، أجزاء من الأرشيفات التي كانت موجودة في القصر أصبحت أرشيفات تاريخية مهمة.

أهم محتوياته:

- ✓ **تقارير وأوامر باي الجزائر:** التي كانت تصدر في نطاق الإدارة المحلية.
- ✓ **سجلات العقوبات:** تتعلق بالجرائم والقرارات القضائية الصادرة ضد المخالفين للقانون العثماني.

3-أرشيفات الكنائس الأوروبية (أرشيفات المستعمرات المسيحية):

على الرغم من كون الجزائر تحت الحكم العثماني، إلا أن هناك تواجدًا مسيحيًا أوروبيًا في الموانئ الجزائرية (خصوصًا الفرنسيين والإسبان) خلال تلك الفترة. كانت هناك كنائس ومؤسسات دينية تعنى بتوثيق الأنشطة الدينية والتجارية في الجزائر. هذه الأرشيفات تضمنت معلومات عن التجارة، الصادرات، والأنشطة اليومية للمستعمرين.

أمثلة على الوثائق:

- ✓ **المراسلات مع الحكومة العثمانية:** بين الحكومات الأوروبية (الفرنسية والإسبانية) والسلطات العثمانية.
- ✓ **التقارير التجارية:** المتعلقة بالحركة التجارية والموانئ.
- ✓ **الوثائق الدينية:** مثل الرسائل بين الكنائس.

4-أرشيفات الحروب بين الجزائر والدول الأوروبية:

الفترة التي عاشت فيها الجزائر تحت الحكم العثماني تميزت أيضًا بالصراعات العسكرية مع العديد من الدول الأوروبية، خاصة فرنسا وإسبانيا. هذه الحروب أسفرت عن وثائق أرشيفية تتعلق بمعارك البحر الأبيض المتوسط وتحديات الأمن البحري.

أهم محتويات الأرشيف:

- ✓ **تقارير الحروب البحرية:** بين الأسطول الجزائري والأساطيل الأوروبية.
- ✓ **مراسلات الحماية والتحالفات:** بين الجزائر والدول الأوروبية مثل فرنسا وإسبانيا.

5-أرشيفات البرلمان الجزائري (الحديث):

بعد الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي في عام 1962، بدأت الجزائر في إنشاء أرشيفات خاصة بالبلاد للقيام بدور توثيقي للأحداث الوطنية، ومنها الأرشيفات الخاصة بالفترة العثمانية التي تُمثل جزءًا من الذاكرة التاريخية للبلاد.

أمثلة على الوثائق:

أ-أرشيفات الثورة الجزائرية: تتضمن توثيق العلاقة بين الجزائريين والسلطات العثمانية في فترة سابقة.

ب-أرشيفات مؤسسات حكومية: مثل الأرشيف الوطني الذي يضم وثائق تخص الفترات السابقة التي يمكن أن تكون مرتبطة بالعهد العثماني.

ج-أرشيفات اليوم في الجزائر:

في الجزائر الحديثة، يتم الحفاظ على العديد من الأرشيفات التاريخية التي تشمل فترة العهد العثماني كجزء من التراث الوطني، وتتمثل أبرز هذه الأرشيفات في:

1 .**الأرشيف الوطني الجزائري: يضم** مجموعة ضخمة من الوثائق التاريخية التي تتعلق بالجزائر في العصور المختلفة، بما في ذلك العهد العثماني.

2 .**أرشيفات وزارة الثقافة:** تحتفظ الوزارة بعدد من الوثائق التاريخية التي تشمل فترة العهد العثماني، وخاصة فيما يتعلق بالتوثيق الفني والثقافي في تلك الفترة.

3 .**مكتبة الجزائر الوطنية:** تحتوي المكتبة على مجموعة من المخطوطات والكتب التي توثق تاريخ الجزائر في العهد العثماني.